خواطر ...

● الأستاذ. محمد السيد الشريف ●

في يوم تخرجها من كليتها، تذكرت دور أمها التي واكب مسيرتها، وتذكرت أمهات خالدات عطّرت سيرتهن تاريخنا العظيم. وهذه الصورة الشعرية هي خواطرها:

عاهدتُها ، والعهدُ دينُ   ووفاء جيلي فرضُ عينْ
يا أمَّنا ، يا كلَّ أمٍّ .. زانها طهرُ اليدين
ربّت بنيها ، والبناتِ على الإباءِ ، فما انحنين
أعطيت ، يا نعم العطاء ، ولم تكوني بينَ بَيْن
وبذلتِ ، أين الباذلاتُ بكلّ أرضٍ منكِ أين ؟

يا أمّ « عبد الله » يا « أسماء » ، يا أمَّ البطلْ ...
قولي لهذي الأرض ، كيف يكونُ يا أرضُ المثل
ضحيتِ بالبطل الوحيد ، ولم تضني بالأمل
ناديتِه : لا تخش دمعَ الأمِّ ، ناضلْ ... فامتثل
إن مثّلوا بك ، لن يضرَّك – بعد موتك – ما نزل

أمي : ذكرتُكِ يا عظيمة ، منذ « هاجر » والخليلْ
والطاعة المُثلى لزوجك تُحتذى في كل جيل
لم ترهبي القيظ المميت ، وما رفضت المستحيل
قال : اسكني والطفل مكة ما طلبت بها بديل
لم تنشدي الماء الزلال ، ولا رُبى الوادي الظليل

* * *

أمي ذكرتُكِ ، والخمارُ على جبينكِ كالوشاحْ
يحمي سناكِ ، فلا تنوشك حيثما سرت الرماح
ويصون وجهك ، كيف تُلقي الطهرَ نهبا مستباح
الدربُ تملؤه الذئاب ، فهل يمرّ بلا سلاح
للّه دَرُّكِ ، في امتثالك في غدوك والرواح

* * *

أمي ذكرتُكِ يا ولود ، فأنتِ أنت المنجبة
أنجبتِ خير الأنبياء ، وما بخلت بموهبة
ومنحتِ للفتح الكبير من الفوارس كوكبة
جابوا بدين الله درباً مضنياً ، ما أصعبه
فتصافح الأوراسُ والشام العريق ، وقرطبة

أمي الوفية : بنت « هاجر » بنتُ « أسماء » الأبية
بنت الشواعر ، من « خناسٍ » يا دُنا حتى « أمية »
قد بايعت مثل الرجال ، وما ارتضت يوماً دنيَّة
وتقلَّدت سيف الجهاد ، ولم تكن أبداً سبيًّة
هذي « نسيبةُ » فاقرءوا لا تطمسوا وجه القضيَّة

أمي ذكرتُكِ يا وفيةُ ها هنا يوم التخرج
رمزاً كبيراً لفضائل ، لم يزيفْه التبرج
لم تقبلي إلا الشريعة وحدها عملاً ومنهج
لم تنشدي التقليد يوما إن وجهَ الصبح أبلج
من يتق اللهَ العظيم ، فإن تقوى الله مخرج

أمي ذكرتُكِ موقفاً والناس يا أمي مواقفْ
قلتِ انهضي للعلم يا بنتي ، فركبُ العلم زاحف
فمضيتُ تدعمني يداكِ ، ولم يعد قلبي بواجف
واجتزتُ دربي لم تعق قدمي رياح أو عواصف
وغدوتُ أبني ، إنما الأوطان يبنيها التكاتف
ليس التحضّر في السفور ، ولا التخلّف في الحجابْ
هذي دعاوى روّجوها بالبراهين الكذاب

إن التبرج صورة للجاهلية في الكتاب
يأيها الفكر المُضلّ ، ألا رجعتَ إلى الصواب
في الدين ما يروي الظمأ ، فكيف نحفل بالسراب

أنا قد حفظتُ قدْركِ يا مثال الانتماءْ
يا بنت « عائشة » الطهور ، ومن يدانيها ذكاء
لم يذهب البرقُ الكذوبُ بناظريك عن الضياء
لم تقبلي المجلوب مهما حسّنوا شكل الرداء
وظللت صامدة اليقين ، فما انفتحتِ على وباء

أنا ، كم أحسُّ بفرحَةٍ يا أمُّ صادقةَ الوجيبْ
تنساب منك إلى فؤادي ، خفقُها الحاني حبيب
نجحت فتاتُك ... بل نجحت ، « لكل مجتهد نصيب »
وقطعتُ مشواري الطويل ، بعزمٍ صامدةٍ دؤوب
ونشأتُ مثلكِ ، لم أقصّر، لم أشذّ عن الدروب

سأظل رغم شهادتي يا خيرَ مَن ربّتْ أمينة
أصغي لنصحك، من يملّ نصائح الأم الثمينة ؟
فالأمّ ـ إن وعت الرسالةَ ، قوّمت يدُها مدينة
والأم إن حادت ، هَوَى جيلٌ رعتْه ، وضلّ دينه
سأظل مثلك ، لن أبدّد عهدَ أمي أو أخونه